**محاضرات في نظرية الأدب/ الأستاذة بركات.**

**السنة الثانية لغة/ المجموعة الأولى.**

**نظرية المحاكاة الجزء الأول: عند أفلاطون (427-347ق م).**

**تقديم:**

ظهرت نظرية المحاكاة في القرن الرابع قبل الميلاد، وقد صاغ مبادئها أفلاطون وبعده تلميذه أرسطو، وقد انتشرت آراء مختلفة حول ماهية الشعر قبل هذا التاريخ، بعضها يصب في غاية الامتاع الذي يولده نوع من السحر كما عند هوميروس، والبعض الآخر كهسيود رأى أن وظيفة الشعر هي التعليم أو نقل رسالة سماوية، وعموما فالشعر كان في صراع مع الفلسفة بحجة أنه يحجب الحقائق التي تبحث عنها الفلسفة.

**المحاكاة عند أفلاطون:**

تحدث أفلاطون في كتاباته التي جاءت على شكل محاورات "أيون" "الجمهورية" "القوانين" وكان هدفه هو تبيان أثر الشعر على سلوك المواطنين، وقد خصص جزءا من الجمهورية للحديث عن الأدب وهو الكتاب العاشر.

يرى أفلاطون أن كل الفنون قائمة على المحاكاة "التقليد"، وينطلق في ذلك من الفلسفة المثالية التي ترى أن الوعي أسبق في الوجود من المادة وتتم المحاكاة كما يلي:

الكون....عالم مثالي......عالم محسوس طبيعي مادي ناقص ومزيف وزائل.....الفن الذي هو محاكاة للمحاكاة.

حسب محاورات أفلاطون فالفنان مقلد من الدرجة الثالثة إضافة إلى أن الشعراء لا يعرفون أية معلومات عن الموضوعات التي يحاكونها، فهومير يصف المعارك ولكنه لا يعرف شيئا عن التكتيك العسكري والخطط الحربية، ويصف الطب ولكنه لم يخلف لنا كتابا عن مبادئ الطب.

**الصراع بين الشعر والفلسفة:**

يؤجج أفلاطون الصراع بين الفلسفة والشعر، إذ أن الأشياء التي تمثلها الفنون حقائق جوهرية يدركها العقل، والشاعر بعيد تماما عن استخدام العقل وبالتالي بعيد عن الحقيقة التي يعدها أسمى الغايات، وهنا يتحدد مكان الفن والأدب بمقدار ما يقدمه من حقائق في مجال المعرفة. يرى أفلاطون أن الحقيقة لا تلتمس من خلال الحواس لأن المحسوس جزئي وهمي زائل شأنه شأن العالم الطبيعي الناقص المزيف، لذلك يرفض أفلاطون الشعر والفن لأنه لا يعالج الحقيقة، بل يكتفي بتمثيل معطيات الحواس التي هي صورة ممسوخة للحقيقة وبعيدة عنها بثلاث درجات.

يضيف أفلاطون ذريعة وسببا آخر لرفض الشعر، وهو أن الشعراء يخاطبون العواطف ويؤججونها ويلهبونها لذا يبتعدون عن العقل، كما أنهم لا يعتمدون على الطريقة البطيئة الواثقة في إدراك الحقائق بل يعتمدون على نشوة الوحي والإلهام (ربة الشعر)، ويمضي أفلاطون في وصف الشعراء فيصفهم بالراقصين، يقول في وصف الشاعر: "إنه مخلوق خفيف محلق لا يخترع شيئا حتى يوحى إليه فتتعطل حواسه ويطير عنه عقله، فإذا لم يصل إلى هذه الحالة فإنه لا حول ولا طول ولا يستطيع أن ينطق بالشعر"

الملاحظ إذن على أفلاطون هو اهتمامه بالشعر من ناحية أثره في السلوك الإنساني "الأخلاق" ففصل بين المتعة والمنفعة واهتم بالمنفعة.

**شروط تقبّل الشعر عند أفلاطون:**

بالرغم من فتنة أفلاطون بالشعر واعترافه بهذه الحقيقة فإنه أدان الشعر والشعراء باسم الأخلاق تارة وباسم الحقيقة تارة أخرى، وقد وضع بعض الشروط لقبول الشعراء في جمهوريته منها: أن ينشدوا قصائد تزجي بالأبطال والآلهة والعظام من المشاهير، ومنه لا يجب للشاعر إشاعة قصيدته حتى تعرض على القضاة وحراس القوانين. وقد فضل الملحمة واعتبر الفن القصصي هو الأفضل من الفن التراجيدي لأن هذا الأخير يثير عواطف الشفقة والضعف لدى الشعب عكس ما تفعله الملحمة.

**الجزء الثاني: عند أرسطو (384-322ق م)**

**تقديم:**

يعتبر كتاب "فن الشعر" لأرسطو أول كتاب نقدي في تاريخ البشرية، وقد جاء كرد غير مباشر على آراء أستاذه أفلاطون حول الفن؛ حيث رفض آراءه من البداية حتى النهاية. تتلمذ أرسطو على يد أفلاطون لمدة عشرين عاما وترك الأكاديمية إثر وفاة مؤسسها أفلاطون.

هيمن كتاب "فن الشعر" لأرسطو على العقل الأدبي والنقدي الأوربي لمدة تزيد على الألفي عام، حيث يعد أرسطو صاحب أول جهد منهجي منظم في نظرية الأدب. ولا يزال لأرسطو أتباع وأنصار حتى اليوم نظرا لأهمية كتابه في معالجة بعض الأنواع الأدبية. فقدت من هذا الكتاب أجزاء وما وصلنا متعلق بالمأساة والملحمة، ويمكن من خلالها استنباط أسس في طبيعة الأدب ووظيفته بشكل عام.

درس أرسطو التراث اليوناني المعاصر له، وحاول من خلال دراسته للأنواع الأدبية الموجودة في عصره أن يستنبط مفاهيم نظرية تتصل بنشأة هذه الأنواع وطبيعتها ووظيفتها. وقد استخدم أرسطو المنهج الوصفي الاستقرائي بينما استخدم أستاذه أفلاطون المنهج التأملي.

**الشعر شكل من المحاكاة:**

قصر أرسطو مفهوم المحاكاة على الفنون ورفض كونها نقل حرفي، بل هي نقل وتصرف في المنقول، وذهب إلى أبعد من هذا حين قال أن الشاعر لا يحاكي ما هو كائن ولكنه يحاكي ما يمكن أن يكون، أو ما ينبغي أن يكون بالضرورة أو الاحتمال. فالشعر يحاكي الناس وأفعالهم كما هم أو بأسوء أو أحسن مما هم، فهو يرى أن المستحيل الممكن خير من الممكن المستحيل، يقول في كتابه "وينبغي أن يؤثر الشاعر استعمال المستحيل المعقول على استعمال الممكن غير المعقول" يعني أن قدرة الشاعر تكمن في أن يقنع أنه يمكن أن يوجد، وهنا مدخل صعب عسير للكلام على الخيال الشعري وعن علاقة المحاكاة بالإقناع، مع أنه لم يذكر لفظا يدل على الخيال.

يرى أرسطو أن للفنان أن يعلو فوق الطبيعة ولكن عليه ألا يخالف أي قانون من قوانينها، فما يصنع الشعر ليس الوزن والايقاع إنما هو عنصر محاكاة العام الكوني، أي محاكاة ما يمكن أن يحدث لا ما حدث بالفعل.

**موضوع المحاكاة:**

يرى أرسطو أن الشاعر لا يحاكي الأشياء ومظاهر الطبيعة فحسب، بل يحاكي أيضا الانطباعات الذهنية وأفعال الناس وعواطفهم، فالتراجيديا تحاكي المثاليين العظام والكوميديا تحاكي الأقل مستوى، والشعر محاكاة لفعل الشخصية لا للشخصية بحد ذاتها يقول: "فإن التراجيديا ليست محاكاة للأشخاص بل للأعمال والحياة، وللسعادة والشقاء، والسعادة والشقاء هما في العمل.

قد نجد تراجيديا خالية من محاكاة الأخلاق ولكن لا نجد تراجيديا قد خلت من محاكاة الأفعال، فالسعادة المطلقة أو الخير المطلق وهو الهدف من الحياة حسب أرسطو ليس مجرد صفة يتصف بها الفاعل وإنما هي فعل من نوع معين، فالغاية التي من أجلها نعيش هي نوع من أنواع الحركة لا الدخول في صفة من الصفات، فطباع الناس تشكل صفاتهم فقط ولكن بأفعالهم يصبح الناس سعداء أو غير سعداء. فالشعر لا يصور شجاعة البطل المذكور بالذات ولكنه يصور الشجاعة ممثلة في هذا البطل بشكل معين من أشكالها. لهذا يعتبر أرسطو الحدث أو القصة أو الحبكة أهم أجزاء التراجيديا التي تتكون حسب أهميتها من: الحبكة، الشخصية، الفكرة، الأداء، الموسيقى، المشاهدون.

**الطبيعة الفلسفية للشعر:**

يقر أرسطو أن الشعر أقرب إلى الفلسفة وأسمى مرتبة من التاريخ، لأن الشعر أميل إلى قول الكليات في حين التاريخ أميل إلى قول الجزئيات، والكل هو ما يتفق لصنف من الناس أن يقوله أو يفعله في حال ما على مقتضى الرجحان أو الضرورة.

إن تراجيديا أوديب ملكا محاكاة لأحداث لم تقع لكنها ممكنة الوقوع وصراع أوديب مع القدر الذي انتهى بهزيمته يمثل معنى عاما أو كونيا شاملا، فالشعر والفلسفة يهدفان إلى استجلاء الحقيقة ولكل طريقته.

**نشأة الشعر ومصدر متعته:**

رفض أرسطو رأي أفلاطون في مصدر الشعر، وقال أن الدافع إلى قول الشعر مرتبط بالطبيعة الإنسانية، لأنه قد فطر على المحاكاة وحب النغم والموسيقى، ولأن الشعر ظاهرة إنسانية وجزء من النشاط الإنساني فهذا يمكننا من فهمه وتحليل ماهيته والتعرف على بواعثه ومهمته، فعن طريق المحاكاة يحصل الفرد على معارفه منذ الصغر واكتاب المعرفة سبيل للمتعة لذا فإن الشعر ممتع وسبيل للتعليم في الوقت ذاته.

**وظيفة الشعر:**

لم يتوقف عمل أرسطو على وصف الأعمال الأدبية وفعلها في المتلقي فحسب، بل حاول أن يصف أثرها بعد عملية التلقي، وكان منهجه هنا الوصف والدراسة والاستقراء. ويعد أرسطو بحق من أقدم النقاد الذين قالوا بالمتعة والفائدة مستخلصة من الدراسة العينية الوصفية.

اتفق أفلاطون وأرسطو في أن التراجيديا تنمي عاطفتي الشفقة والخوف، لكن أرسطو لم يرفضهما كما فعل أفلاطون بل اعتبرها أرقى أشكال الشعر لهذا السبب، لأنها تجعل المشاهدين أكثر قوة من خلال التطهير، فالتراجيديا تتيح لنا تصريف العواطف المكبوتة الزائدة (البكاء في التراجيديا والضحك في الكوميديا، أي تجعلنا أكثر توازنا من الناحية الانفعالية والعاطفية) وبالتالي فإن المشاهد يشعر بالراحة وبالقوة. وتشير أحدث التفسيرات إلى أن الشفقة هي عاطفة الإنسان تجاه الآخرين وعاطفة الخوف هي عاطفة الإنسان تجاه ذاته، وبهذا المعنى فإنهما أصول العواطف الإنسانية وبالتالي لا يمكن أن يكون معنى التطهير هو التخلص من هاتين العاطفتين بل معناه التنمية المتوازنة لعواطف الفرد تجاه ذاته والآخرين للوصول إلى انسجام وتناغم العلاقات البشرية، وهو ما يؤدي إلى التوازن الأخلاقي.

**البناء الفني للتراجيديا:**

كي تؤدي التراجيديا وظيفتها على أكمل وجه من الضروري أن تكون الحبكة التراجيدية معقدة وفيها تغيير على نحو غير متوقع (المفاجأة) وأن يكون لها بداية ووسط ونهاية وأن تثير عاطفتي الشفقة والخوف، أما البطل التراجيدي فينبغي أن تتوافر في رسمه عدة شروط هي:

- أن ينتمي البطل إلى طبقة النبلاء (أمير أو ملك) لأن سقوطه أشد وقعا في النفوس من سقوط الإنسان العادي.

- ألا يكون فاضلا بشكل مطلق أو رذيلا بشكل مطلق، لأن سقوط الفاضل يثير فينا عاطفة الاشمئزاز لا عاطفة الشفقة كما أن سقوط الرذيل يثير فينا عاطفة الرضى.

- يجب أن ينتقل البطل من حالة السعادة إلى حالة الشقاء أو التعاسة مثل أوديب.

- ينبغي أن يكون سقوط البطل نتيجة ضعف في شخصيته (التسرع التردد الأنانية)

ويرى أرسطو أن النهايات غير السعيدة هي الأفضل بالنسبة للتراجيديا أما الذوق الشعبي فيفضل مكافأة الخير ومعاقبة الشرير.